ترجمة أسلوب الحصر في القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية بين التكافؤ الشكلي والديناميكي: ترجمة عبد الله يوسف علي أنموذجا

د. طاهر لون معاذ*

تاريخ تقديم البحث: ١٤/ ٨/ ٢٠١٧م. تاريخ قبول البحث: ٤/ ٣/ ٢٠١٨م.

ملخص

الغرض من هذه الورقة إلقاء الضوء على كيفية ترجمة أساليب الحصر المختلفة الواردة في القرآن الكريم من حيث أدوات بناء هذا الأسلوب بناء على القواعد النحوية لأسلوب الحصر، وكان الدافع الأساسي لهذا أن الباحث بعد قراءة كلام النحاة حول أسلوب الحصر قام بمقارنة ترجمة هذه الأساليب في الترجمة الإنجليزية التي قام بها عبد الله يوسف علي، فلاحظ اختلافات بين أساليب المترجم لنقل المقصود من الحصر في مواضع مختلفة. بحيث تختلف الترجمة في الأسلوب الواحد وتتفق في الأسلوبين المختلفين على الرغم من الكلام الدقيق للنحاة في الفصل بين تراكيب أسلوب الحصر. وتقتضي هذه الدراسة استخدام نظرية التكافؤ الديناميكي والشكلي.

* قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كانو، نيجيريا.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

Translation the Figure of Speech of Exception in the Holy Quran into English, Between Formal and Dynamic Equivalence, the Example of Abdullah Yusuf Ali's Translation

Abstract

The purpose of this paper is to highlight the various ways of how the figure of speech of exception in the Holy Quran was translated into English between Formal and Dynamic Equivalence, The paper evolve after the researcher read rules of the figure speech of exception in Arabic grammar, and compared some of its translations in the Abdullah Yusuf Ali's Translation, consequently he noticed that Yusuf used to translate one Arabic exception style into different English styles, however sometimes he translate different Arabic Exception style into one English style, despite the precise grammatical rules laid by the classical grammarians which specify the meaning of each type of exception formation, so this paper is going to explore why the Translator chose to render his translation of restrain that way, is there any semantic motive behind such translation or not? This study requires the use of dynamic and formal equivalence theory as well as using descriptive method.

التكافو الديناميكي والشكلي:

التكـافؤ(Equivalence) فـي الترجمـة مـن المصـطلحات التـي أثـارت ولا تـزال تثيـر الجـدل بـين دارسـي الترجمـة،[١] ويعنـي وجـود التسـاوي والتعـادل بـين الـنص الأصلـي (ST Source Text) والـنص المترجم (Target Text TT). وهـذا التعـادل إمـا أن يكـون شـكليا أو ديناميـا، وقـد روج لهـذه النظريـة يـوجين نايـدا[٢] وقـد أثبـت نايـدا بنفسـه أنـه لا يوجـد تطـابق بـين لغتـين أيـا كانـا مـن ناحيـة المعـاني الموضـوعة للعلامـات المسـتخدمة فـي اللغتـين، أو مـن ناحيـة ترتيبهـا فـي العبـارات و الجمـل، وبالتـالي فإنـه لايمكـن وجـود ترجمـة متكافئـة تكـافؤا كليا[٣].

ويركز التكافؤ الشكلي (Formal correspondence) الانتباه إلى الرسالة نفسها، في الشكل والمحتوى معا، بحيث يحتوي النص المترجم على ما يمثل الدلالة القريبة في النص الأصلي، وعلى هذا يهتم المرء في مثل هذه الترجمة بتلك الحالات من التطابق كمطابقة الشعر بالشعر، والجملة بالجملة، والمفهوم بالمفهوم، ليستلزم هذه المطابقة موازنة الرسالة المنقولة إلى المتلقي بالعناصر المختلفة في لغة المصدر بأدق درجة ممكنة،[٤] والجدير بالذكر هو أن هذه المطابقة لا تكون متساوية دائما، وذلك لخلاف القواعد والأنظمة بين اللغات كما سبق، لذا نصح نايدا بأن تكون في المواضع التي يمكن المطابقة فيها فقط. كما أن الباحثين ينصحون المترجمين باستخدام هذا النوع من الترجمة في ترجمة النصوص الدينية والدبلوماسية لنقل محتوى الرسالة بأقصى ما يمكن من الأمانة.

(1)Vanessa Leonardi, (Equivalence in translation: between myth and realty), Translation journal, volume 4, no.4, October, 2000.

(٢) مترجم ولغوي معاصر ولد في أكلاهوما الأمريكية عام ١٩١٤م وتوفي ٢٠١١م وهو واضع نظرية التكافؤ الديناميكي للكتاب المقدس.

(3) Eugene Nida PRINCIPLES OF CORRESPONDENCE.1964 (The Translation Studies Reader) EDITED BY Lawrence Venuti, Professor of English at Temple University, Philadelphia PP126.

(4) Eugene Nida 1964, pp129

وانظر: محمد رفيق مباركي، التكافؤ الدينامي بين لسانيات النص وعلم الترجمة ترجمة أساليب القصر في القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية أنموذجا" مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الترجمة جامعة قسنطينة الجزائر.

أما التكافؤ الديناميكي (Dynamic equivalence)، فهو أن يحاول المترجم نقل رسالة لغة المصدر إلى اللغة المنقول إليها بطريقة تحدث نفس الأثر والتفاعل على المتلقي في اللغة المنقول إليها.[١] لذا يقارب هذا المصطلح مفهوم ترجمة المعنى بالمعنى أو الترجمة الحرة.

عبد الله يوسف علي:

ولد عبد الله يوسف علي في الرابع[٢] من أبريل ١٨٧٢م في قرية سورات وهي قرية اشتهرت بالنسج في غُجْرَاتْ غرب الهند، وهي من المناطق التي كونت مدينة بُومْبي الحالية،[٣] بعد أن حفظ القرآن درس عبد الله في كلية ويلسون التبشيرية في بُومْبي، ثم الليسانيس في اللغة الإنجليزية بجامعة بُومْبي ١٨٩١م وحصل على منحة للدراسة في جامعة كامبريج بالمملكة المتحدة، فدرس القانون ١٨٩٥ وحصل على الماجستير في القانون ١٨٩٦م، كتب عبد الله عددا من الكتب حول الإسلام إضافة إلى ترجمته للقرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، وكانت الترجمة أكثر الترجمات الإنجليزية للقرآن الكريم شيوعا وتداولا عبر العالم. توفي عبد الله يوسف علي في مستشفى القديس ستيفين بمدينة فولهام إثر نوبة قلبية، في العاشر من ديسمبر ١٩٥٣.

أسلوب الحصر:

الحصر أو القصر هو "تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، ويقال أيضا إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه"[٤] فعندما قال تعالى: (وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلا الْفَاسِقُونَ) (البقرة: ٩٩) فإنه خصص كفران الآيات القرآنية بالفاسقين دون غيرهم. ولأسلوب الحصر أربع طرق رئيسة وهي:

١. الجمع بين النفي والاستثناء: وهو أقوى وأشهر طرق تكوين الأسلوب الحصري ويكاد يكون الأصل،[٥] وهذا يبدو واضحا في القرآن الكريم، حيث يتفوق على سائر الطرق، كما أن وروده في كلمة التوحيد–لا إله إلا الله– يشهد على هذا. ويكون بالنفي أولا سواء بـ "ما" النافية أو "لا" أو "إن" ثم الاستثناء بـ "إلا" أو "غير" وسائر أدوات الاستثناء.

(1) Vanessa Leonardi, 2000 .

(٢) ورد في ترجمة عبد الله يوسف علي في المصادر الإلكترونية أنه ولد في الربع عشر بدلا من الرابع من أبريل.

(3) Sheriff, M.A. (1994) Searching For Solace, A biography of Abdullah Yusuf Ali, Interpreter of Quran, Islamic Book Trust, Selangor Malaysia, p3.

(٤) السيوطي، جلال الدين بن عبدالرحمن، (جلال الدين) الإتقان في علوم القرآن، المطبعة الحجازية، القاهرة، ج٢، ص٩٤

(٥) السيدة نسرين طاهر، ظاهرة القصر والحصر مفهوما وبلاغة في إطار القرآن الكريم، بحث لنيل درجة الدكتوراه الجامعة الوطنية للغات الحديثة والعلوم إسلام آباد باكستان، ٢٠٠٧م ص ٩٧

٢. استخدام "إنما" نحو قولـــه تعالـــى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) (فاطر: ٢٨)

٣. التقديم نحو قوله: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) (الرعد: ٢٦) فتقديم الفاعل على الفعل يدل على الحصر، كأنه يقول الله وحده هو الذي يبسط الرزق. وكقوله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة: ٥) حيث قدم الضمير (إياك)على الفعل فدل على حصر العبادة على المخاطب وهو الله تعالى.

٤. العطف بلا أو بل أو لكن. (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (آل عمران: ٦٧)

ويظهر من هذا العرض لمفهوم الحصر في اللغة العربية أن هناك طرقاً مختلفة لبناء أسلوبه باستخدام الأدوات المختلفة وطرق شتى، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو كيف قام المترجم إلى اللغة الإنجليزية (عبد الله يوسف علي) بترجمة ونقل هذه الأساليب المختلفة بين الشكلية والديناميكية؟ هذا ما ستناقشه الورقة في الصفحات التالية.

ترجمة الطريقة الأولى: النفي والاستثناء:

اختار الباحث ثلاث تقنيات لهذه الطريقة وهي: (ما+المحصور+إلا+ المحصور عليه) و (لا+المحصور+إلا+ المحصور عليه) و (إن+المحصور+إلا+ المحصور عليه) لكونها أكثر استخداما في القرآن وفي كلام الناس عادة.

أ- (ما+المحصور+إلا+ المحصور عليه)

تفنن عبد الله يوسف علي في ترجمة هذه الطريقة، إذْ لم يتقيد بترجمة واحدة في جميع المواضع التي ورد هذا الشكل، فمثلا قول الله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران: ١٤٤) قام بترجمته كالتالي:

"Muhammad is no more than a messenger: many were the messenger that passed away before him. …"(1)

(1) Abdullah Yusuf Ali (d.1953) The Holy Quran (Koran) English Translation of the Meanings. Fahd Holy Quran Printing Complex in 1987، P30.

فإن أداة النفي (ما) تقابل في الترجمة (no) والاستثناء (إلا) تقابل (more than)، والملاحظ أن المترجم حاول إحلال النص في قالب يتطابق بالمعنى والتعبير الإنجليزي، ولم يراع الشكل، فلو أراد الشكلية لاستخدم (except) التي تعني ما عدا وسوى أو (but). كما فعل عند قول الله تعالى: (وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ) (الشعراء: ٥) حيث ترجمها:

But there comes not to them a newly-revealed Message from [Allah] Most Gracious but they turn away therefrom.

إن السر وراء هذا التبديل هو أن السياق في الأول حديث عن شخصية الرسول وتفريغ فكر الناس من دوامه، بل إنه رسول يموت كما مات الرسل قبله، فعلى هذا يكون التركيب الأنصب لهذا السياق هو ما يدل على الانتقال، أي ما يضم معنى (بل) لذا استعمل: (is no more than). وفي الثاني إخبار للمؤمنين بحالة الكفار، من أنهم كلما جاءتهم من الله آية يعرضون عنها بدل الإيمان بها، وليس في هذا دلالة (بل) الانتقالية. كما أن الحصر هنا لا يفيد عدم إعراضهم في وقت غير وقت نزول الآيات، بل يفيد الدوام على الإعراض. ومن التقنيات التي استخدمها المترجم استخدام لفظ (only) الدالة على الحصر، فمن معاني هذه اللفظة أن تأتي صفة أو ظرف بمعنى فحسب أو فقط[١]. وبهذا المعنى ترجم قوله تعالى: (وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ) (يس: ١٧) حيث يقول:

"And Our duty is only to proclaim the clear message"

فدلالة السياق في الآية هو حصر عملية الإبلاغ وليس الحساب، وقد راعى المترجم الموقف فتوجه نحو التكافؤ الدينماكي دون الشكلي فلم يأت في النص مقابل ما النافية، غير أنه أتى بإلا الدالة على الاستثناء، وإن كان يراعي الأدوات الواردة في النص، فإنه –كما سنقف عليه– لم يستخدم الأسلوب نفسه فيما خالف الأداة في نظير هذه الآية كقوله تعالى: (إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ) (الشورى: ٤٨) حيث ترجمها بأسلوب غير هذا وإن كانت الدلالة نفسها هي نفسها في آية يس، فقال فيها:

"Your duty is but to convey"

مستخدما فعل الكينونة (is) فلجأ إلى حيلة أخرى وهو عدم ذكر طرف الجملة (الاسم) الذي كان دائما يتبع فعل الكينونة، فصار (but to convey) هو الاسم المكمل للجملة. ويرى الباحث أن سبب اختلاف تقنية الترجمتين بين هذين الأسلوبين هو اختلاف المخاطب، فقد استخدم (only) في آية يس

(١) محمد غريب جودة، الموسوعة الشاملة والمعاصرة في قواعد اللغة الإنجليزية، مكتبة ابن سينا القاهرة ٢٠٠٥، ص١٩٤.

لأن الكلام فيه موجه إلى الكفار، وفي الثاني (but to) لأن الكلام كان من الله تعالى إلى رسوله الكريم.

ومن التقنيات التي استخدمها في خلق التكافؤ الديناميكي لأسلوب الحصر في هذا الصدد لفظ: (till) وهي أداة للربط ومعناها حتى أو إلى أن،[١] أو حتى. ففضل استخدامها في قول الله: (يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) (آل عمران: ٦٥) قال في ذلك:

"You People of the Book! Why Dispute about Abraham when the Law and the Gospel were not revealed till after him"

وإن كانت الأدوات في تكوين هذا الأسلوب هي (ما+المحصور+إلا+ المحصور عليه) إلا أنه راعى الدلالة فقط، فحاصل المعنى: ما أنزل الله التوراة والإنجيل إلا من بعد إبراهيم، أي إلى أن– أو– حتى توفي وانقرض زمنه. فهذا يتطلب توظيف (till) بمعناها السابق ذكره.

وتقنية توظيف (but) بعد ذكر فعل الكينونة (verb to be) قبل أو بعد ذكر أداة النفي مسبقا هي من أكثر التقنيات استخداما في ترجمة هذا النوع من الأسلوب، وصفتها هي:(ما+المحصور+ فعل الكينونة +but + المحصور عليه) ففي مثل قول الله تعالى: (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)(ص: ٦٥) ترجمها عبد الله يوسف علي إلى:

"No god is there but the One God، Supreme and Irresistible."

ب–(لا+المحصور+إلا+ المحصور عليه)

ليس هناك اختلاف كبير بين كيفية ترجمة أسلوب القصر لهذه الطريقة وبين ما سبق، إلا أن اللافت للنظر هو أن المترجم اختص مواضع الاستثناء في كلمة التوحيد وما شابهها بلفظ (but) ففي قوله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ) (محمد: ١٩) استخدم (but) مقابل حرف الاستثناء:

"Know, therefore، that there is no god but Allah"

وكذلك الأمر في جميع ما كان على "لا إله إلا هو" وقد خالف في (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (يونس: ٩٠) فقال:

(١) الموسوعة الشاملة والمعاصرة في قواعد اللغة الإنجليزية، المرجع السابق ص٣٠٤.

"At length when overwhelmed with the flood، he said: I believed that there is no god except him whom the Children of Israel believe in: I am of those who submit (to Allah in Islam).""

وذلك في موضعين في السورة، ويبدو أن المترجم لاحظ صلة (الذي) بعد اسم الجلالة مباشرة فاختار لها ما يميزها عن من غيرها، فاستخدم لفظ (except) فيها وفي قوله تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ) (الصافات: ٣٥) كما استخدم تركيبا خاصا لقوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) (الحشر: ٢٢)

"Allah is He, than Whom there is no other god;- Who knows [all things] both secret and open;"

فاستعمال هذا الأسلوب الخاص كما يبدو للباحث هو أنه جعل "عالم الغيب" صفة لضمير هو بتقدير الصلة، لذا نراه في الترجمة الإنجليزية يحول صيغة اسم الفاعل (عالم) إلى ضمير موصول(who) مع الفعل (knows) فكان تقدير المترجم: لا إله إلا هو الذي يعلم ما كان في السر والعلانية.

وعلى كل حال يمكن تفسير توظيف المترجم تقنية (no+god+but+Allah/He) في ترجمة كلمة التوحيد –في حوالي ٣٧ موضعا من القرآن الكريم– بأن الكلمة أساس الإسلام، فهي تعتبر أشرف كلمة في القرآن ومفتاحا لدخول الإسلام وأفضل الذكر على الإطلاق. فعدم التغيير يعطيها خاصية أسلوبية كما كان لها خاصية دلالية ودينية.

وقد لاحظ الباحث مراعاة المترجم لدلالة الفعل في بعض الآيات التي ورد فيها الحصر فقام بإضافة ما يدل على زمن الفعل، ففي قول الله تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) (البقرة: ٢٧٥) إخبار بما سوف يحدث في المستقبل، فآكلو الربا لا يستطيعون القيام من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له.[١] فدلالة فعل (لا يقومون) هنا إذًا فعل مضارع يدل على ما سيحدث (المستقبل)، فعلى هذه الدلالة مشى المترجم فقال:

"Those who devour usury will not stand except as stand one whom the Evil one by his touch has driven to madness."

(١) ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي (الحافظ) تفسير القرآن العظيم، دار الفكر ١٤٢٤/٢٠٠٤ ج١، ص٢٩٨.

الملاحظ هو زيادة (will) وهو فعل مساعد نسفي (modal auxiliary) بمعنى سوف المستخدم في التعبير عن المستقبل (future tense)[١] ثم أتى بعده حرف النفي (not) ثم المحصور وهو القيام، ثم حرف الاستثناء (except) وأخيرا المحصور عليه وهو:

(as stand one who the evil one by his touch has driven to madness)

ومن التغييرات الديناميكية في ترجمة عبد الله يوسف علي لأسلوب الحصر أيضا تغيير الاسم (noun) المحصور عليه إلى اسم مكون من مضاف ومضاف إليه، ومن ذلك ترجمة قوله تعالى: (فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (البقرة: ١٣٢) فقال في ترجمتها:

"Then die not except in the faith of Islam"

فإنه حول الاسم (مسلمون) إلى اسمين مضاف ومضاف إليه (faith of Islam) وكذلك الأمر بالنسبة لنظير هذه الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)

"O you who believed! Fear Allah as He should be feared and die not except in a state of Islam."

فركب اسمين عن طريق الإضافة (state of Islam) للتعبير عن كلمة الإسلام، وهذا تماشيا مع دلالتها الواسعة كما فسرها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث عمر الذي رواه مسلم: أن يشهد المرء بأن لا إله إلا الله ويصلي ويزكي ويصوم ويحج، وهذا أقل ما يُتطلب من العبد أن يموت عليه. فهذا إذًا معنى الحصر في هاتين الآيتين حسب ما ترجمه يوسف علي.

ج- (إن+المحصور+إلا+ المحصور عليه)

هذه هي الطريقة الثالثة من بين الحصر بطريقة النفي والاستثناء، وقد لاحظ الباحث أن يوسف علي أكثر من استخدام تعبير: (no +less than) أو (no +more than) ومن ذلك قول الله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم: ٤) فترجمه:

"It is no less than inspiration sent down to him"

وقوله: (إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ) (الزخرف: ٥٩)

"He was no more than a servant We granted our favor to him"

(١) الموسوعة الشاملة والمعاصرة في قواعد اللغة الإنجليزية، المرجع السابق ص٣٢٣.

فالترجمة بهذا تتماشى مع معنى حرف (إن) في العربية فإنه يأتي بمعنى (ليس) أو (ما) كما قال الكوفيون فيكون المعنى: ما هو إلا عبد أنعمنا عليه. وقد يستخدم تعبير:(only) وهي في الإنجليزية ظرف (adverb) بمعنى فحسب أو فقط[١] وهذا المعنى أيضا في العربية يفيد الحصر، لذا وظفه المترجم في قوله تعالى: (نْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ) (المؤمنون: ٢٥)

"He is only a man possessed: wait [and have patience] with him for a time."

وقد يساوي بين هذه الطريقة والطريقة السابقة باعتبار أن الحروف المستخدمة في الحصر (لا+ إلا) أو (ما+ إلا) أو (إن+إلا) في بعض المواضع تشترك في الدلالة والقوة، لذا رأينا كيف ساوى جميع هذه الطرق في ترجمتها تارة بتقنية: (no+but) يقول في قول الله تعالى: (وَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) (الأعراف: ١٨٤)

Do they not reflect? Their companion is not seized with madness; he is but a perspicuous Warner.

ترجمة الطريقة الثانية: إنما.

ووجه القصر فيه أن يتضمن معنى (ما) و (إلاّ)، ولذلك فسر المفسرون قوله تعالى (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ) (البقرة: ١٧٣) وهو المطابق لقراءة الرفع المقتضية لانحصار التحريم على الميتة والدم فما بعده[٢]. لذا نرى المترجم –عبد الله يوسف– يستخدم أيضا لفظ: (only) ومن معانيها في الإنجليزية فقط وفحسب كما سبق،[٣] فكأن المترجم يقول معنى الآية هو: حرم الله عليكم الميتة والدم... فقط تماشيا مع نظير هذه الآية (قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) (الأنعام: ١٤٥) انظر لترجمته:

He has only forbidden you dead meat and blood…

لكن اللافت للنظر في ترجمة الحصر بـ (إنما) لدى عبد الله يوسف علي هو استخدامه المتباين بين أساليبها تبعا لمقتضى دلالة الآية، فقط وردت لفظة (إنما) في حوالي ١١٣ موضعا من القرآن الكريم لكن الباحث بمتابعته لهذه الأساليب في ترجمة عبد الله يوسف وجد أكثر الأساليب الحصرية

(١) الموسوعة الشاملة والمعاصرة في قواعد اللغة الإنجليزية، المرجع السابق ص١٩٤.

(٢) نجم الدين، مبارك حسين، وسوسن محمد عثمان: أسلوب القصر وبلاغته في القرآن الكريم، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، العدد الخامس أغسطس ٢٠١٢.

(٣) الموسوعة الشاملة والمعاصرة في قواعد اللغة الإنجليزية، المرجع السابق ص١٩٤.

ديناميكية والبعد عن الشكلية، مما يعني أن المترجم راعى الدلالة دون حرف الحصر (إنما)، وتوضيحا لهذه النقطة يمكننا المقارنة بين ترجمته لهاتين الآيتين كلتيهما في سورة المائدة:

(إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ) (المائدة: ٣٣)	The punishment of those who wage war against Allah and His Apostle, and strive with might and main for mischief through the land is: Execution…
(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (المائدة: ٥٥)	Your (Real) Friends Are No Less Than Allah، His messenger and the (fellow of) Believers-those who establish regular prayers and regular Charity, and they bow down humbly in worship.

يظهر من الترجمة الأولى انطلاق المترجم من الشكلية إلى الديناميكية، حيث لا نشعر –ولو تلميحا– بما يقابل حرف الحصر (إنما) في النص المترجم، بل حول النص من الحصر إلى جملتين تشكل الأولى المبتدأ والثانية الخبر، فلو أعطي النص الإنجليزي هذا إلى مترجم ليترجمه إلى العربية بغض النظر عن شكل الآية لكانت الترجمة: "العقوبة المفروضة على الذين يحاربون الله ورسوله هي القتل..." ولكنه في الآية الثانية جاء بما يقابل حروف الحصر، والسر في التفرقة بين هاتين الترجمتين هو أنه يوجد في الآية الأولى التفصيل بين العقوبة المفروضة على أهل الفساد وهي القتل أو الصلب أو قطع اليد أو الأرجل، حسب الجريمة وظروفها أضف إلى ذلك اجتهاد القاضي في ذلك. بينما في الآية الثانية يكون الحصر أقوى إذ لا فرق بين حكم ولاية الله ورسوله أو المؤمنين، فالولاية هي نفسها، لذا حرص على الإتيان بالحصر.

ومن هذا القبيل أيضا تحرره من الشـــكلية في ترجمة قول الله (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ) (الرعـــد: ١٩) حيث ترجمها بحيث لا يشعر المتلقي بأن في لغة المصدر أداة حصر، يقول:

“It is those who are endued with understanding that receive admonition”

وهكذا تسير الترجمة عند يوسف علي، فتارة ينحو نحو متابعة شكل الآية فيأتي بما يقابل أداة الحصر وحينا آخر يتحرر من قيود الأداة فيأتي بتركيب يحمل دلالة قريبة من الحصر.

ترجمة الطريقة الثالثة: التقديم والتأخير.

إن التقديم والتأخير ظاهرة أسلوبية في اللغة العربية، وقد نوه علماء اللغة والبلاغة على أن التقديم لا يأتي عبثا، بل يكمن وراءه أسرار دلالية، يقول في ذلك عبد القاهر الجرجاني "إنَّه جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفْتَر لك عن بديعة، ويفْضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"(١)

فمن هذه اللطائف التي يفضي التقديم والتأخير إليها الاختصاص أو الحصر، وأول ما يوافينا من الحصر في القرآن الكريم هو قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة: ٥) فتقديم ضمير (إياك) في الموضعين من الآية يفيد الحصر، أي نعبدك ونستعين بك فقط، وترجمة عبد الله لهذا هي:

Thee do we worship, and Thine aid we seek.

يبدو إن المترجم هنا تابع شكل الآية من التقديم والتأخير وخاصة في الشطر الأول من الآية مع زيادة فعل(Do) المساعد:

إياك	نـــــــ	ـــــعبد
Thee	(Do)(٢) we	Worship

أما في الشطر الثاني فرصدنا تغيرا بسيطا بأن ترجم أياك نستعين بما كان ترجمته الحرفية هي: "نطلب معونتك". فعلى هذا يمكن القول بأنه تصرف في الشطر الأخير. أما من الناحية الحصرية فيرى الباحث عدم كفاءة هذا الأسلوب الإنجليزي من الإحاطة بمعنى الحصر الموجود في الآية لعدم وجود هذه الخاصية الكامنة وراء التقديم والتأخير في اللغة الإنجليزية، وهذا من ما يسمى بالدلالة المصاحبة، أو المعاني الثواني. غير أن تسميتها هكذا لا يعني أنها غير مهمة، بل قد تكون عين المقصود كما في هذه الآية، فالمترجم هنا يدري جيدا دلالة التقديم في هذه الآية، فتابع النظم القرآني فصاغ الترجمة على شكل الآية، وساعده في ذلك أن اللغة الإنجليزية تفضل في أسلوبها تقديم الاسم على الفعل، فطابق التقديم والتأخير الموجود في النص الإنجليزي.

(١) الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، مكتبة الخنجي القاهرة ٢٠٠٠، ص ١٠٦.

(٢) يلاحظ حذف (do) في النص المترجم، لأنها في هذه الحالة ليس لها معادل في العربية.

وهذا خلافا للعربية التي تفضل تقديم الفعل على غيره، فإذا حدث تأخير الفعل وصدر فعل فلا بد من سر دلالي كالعناية أو الحصر، ففي قوله تعالى: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقْدِرُ) (الرعد: ٢٦) تقديم الاسم (الله) على الفعل (يبسط) والسر في ذلك دلالة على الحصر، لكن أين دلالة الحصر في ترجمة هذه الآية؟

“Allah does enlarge or grant by (strict) measure the sustenance (which He gives) to whomso he pleases.”

ومثله أيضا قوله تعالى (وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّه تُحْشَرُونَ) (آل عمران: ١٥٨) ترجمها:

“And if you die، or are slain, Lo! It is unto Allah that you are brought together.

فالنظام هو نفس نظام اللغة الإنجليزية في كلا النصين، وإن كان المترجم تعامل مع الآيتين بحيث يفهم الدلالة الأولية للنص وهي بسط الله الرزق لمن يشاء، والحشر إلى الله بعد الموت.

الخاتمة:

لقد تبين لنا بعد تتبع ترجمة أسلوب القصر في القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية لدى الأستاذ عبد الله يوسف علي على أنه:

- يحاول عند الترجمة متابعة النظام الشكلي لأسلوب القرآن، حيث يوجد في أغلب ترجمة أسلوب القصر ما يقابل أدوات الحصر، مما يعني وجود تكافؤ شكلي والهدف من هذا تمكين القارئ من فهم النص الأصل قدر الإمكان.
- يتحرر المترجم تارة من القيود الشكلية لخلق أثر التفاعل الدلالي الموجود في النص الاصلي، حيث يحتل أسلوب لغوي آخر مكان الأسلوب الحصري، كما في الآية ٣٣ سورة المائدة. وهذا السلوك يعد تكافؤا ديناميا.
- يوجد في ترجمة الأساليب الحصرية لدى عبد الله يوسف اختيار دقيق للأدوات المقابلة للأدوات الحصرية في بين اللغتين، بحيث تتطابق كل أداة مع الموضع الذي وضع من الناحية الدلالية، لذلك نرى اختلاف الأداة في ترجمة أسلوب من نوع واحد.
- عندما يتعذر نقل الدلالة الكامنة وراء أسلوب حصر معين – كدلالة الحصر في التقديم والتأخير– يحاول المترجم ترجمة النص باستخدام التكافؤ الشكلي كما حدث في آية الفاتحة.